

الجهل نوعان

الجهل نوعان : نوع يعذر به صاحبه ، ونوع لا يعذر به ، حقيقة جهلها الكثيرون قال ابن القيم : وَقَالَ سُبْحَانَهُ { وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضَ لَهُ شَيْطَانًا قَهْوَهُ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ } فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنْ مِنْ ابْتِلَاءِهِ بِقَرِينِهِ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَضَلَالِهِ بِهِ ، إِنَّمَا كَانَ يَسْتَبِغُ إِعْرَاضَهُ وَعَشْوَهُ عَنْ ذِكْرِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ ، فَكَانَ عُقُوبَةَ هَذَا الإِعْرَاضِ أَنْ قَبِضَ لَهُ شَيْطَانًا يَقَارِنُهُ فَيَصُدُّهُ عَنِ سَبِيلِ رَبِّهِ وَطَرِيقِ فَلَاحِهِ ، وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُهْتَدٍ ، حَتَّى إِذَا وَافَى رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَرِينِهِ ، وَعَايَنَ هَلَاكَهُ وَإِفْلَاسَهُ ، قَالَ : { يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبئْسَ الْقَرِينُ } وَكُلٌّ مِنْ أَعْرَاضِ عَنِ الْإِهْتِدَاءِ بِالْوَحْيِ الَّذِي هُوَ ذِكْرُ اللَّهِ قَلِيلًا بَدُّ أَنْ يَقُولَ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

فَإِنْ قِيلَ فَهَلْ لِهَذَا عَذْرٌ فِي ضَلَالِهِ إِذَا كَانَ يَحْسَبُ أَنَّهُ عَلَى هَدًى كَمَا قَالَ تَعَالَى { وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ } قِيلَ : لَّا عَذْرَ لِهَذَا وَأَمثَالِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ الَّذِينَ مَنَشَأُ ضَلَالَتَهُمُ الإِعْرَاضُ عَنِ الْوَحْيِ الَّذِي جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ، وَلَوْ ظَنَّ أَنَّهُ مُهْتَدٍ ؛ فَإِنَّهُ مَفْرُطٌ بِإِعْرَاضِهِ عَنِ إِتْبَاعِ دَاعِيِ الْهَدْيِ ، فَإِذَا ضَلَّ فَإِنَّمَا أَتَى مِنْ تَفْرِيطِهِ وَإِعْرَاضِهِ ، وَهَذَا يَخْتَلَفُ مِنْ كَانَ ضَلَالَهُ لِعَدَمِ بُلُوغِ الرِّسَالَةِ وَعَجْزِهِ عَنِ الْوُضُوعِ إِلَيْهَا ، قَدَاكَ لَهُ حُكْمٌ آخَرَ ، وَالْوَعِيدُ فِي الْقُرْآنِ إِنَّمَا يَتَنَاوَلُ الْأَوَّلَ ، وَأَمَّا الثَّانِي فَإِنَّ اللَّهَ لَّا يَعْذِبُ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا } وَقَالَ تَعَالَى { رَسَلْنَا مَبشِرِينَ وَمُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ } وَقَالَ تَعَالَى فِي أَهْلِ النَّارِ { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ } وَقَالَ تَعَالَى { أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ أَلَمْ أَقُولْ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ } أَوْ تَقُولُ جِئْتُكَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةٌ فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ } وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ . مفتاح دار السعادة (1/208) .